الشَّفَاعَة

من أفضل الأمور التي ورد الحثُّ على الاهتمام بها والنهيُ عن الغفلة عنها، التفكّر بالموت وما بعد الموت. ولأن هذه الأمور تُورث خوفاً – محموداً – في النفس، فقد أبى مَن كتب على نفسه الرحمة، إلا أن يبشّر عبده بالشفاعة، إنْ هو استوفى شروطها. وهذه وقفة عند مبدأ الشفاعة، مع مقتطفات من كتاب «محكمة العدل الإلهي» للمرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (دام ظلّه).

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ طه:١٠٩

إنَّ العقوبات الإلهيّة يوم القيامة ليست ذات طابع انتقاميّ، سواءً كانت عابرة أم طويلة الأمد أو أبديّة، وسواءً كانت جسميّة أم روحيّة، وسواءً اعتبرناها كآثار طبيعية للعمل أم وضعيّة، وقد وُضِعت بهدف تربية الإنسان، أو كضمانة لتنفيذ القوانين الإلهيّة الرامية إلى تنمية الكمال الإنساني.

ولهذا السبب، نرى سُبُل النجاة مشرعة أمام الإنسان – في الوقت الذي نرى فيه القرآن الكريم يصف العقوبات الإلهيّة بالشدّة – وتُمنح للمذنبين الفرصة للرجوع عن الخطأ وإصلاح أنفسهم، وسلوك الطريق المؤدّي إلى الله تعالى.

وتُعتَبر الشفاعة واحدةً من هذه الوسائل، لأنّها تعني في المفهوم الصحيح للكلمة إنذاراً للمذنبين بعدم هدم جسور العودة بأجمعها، والحفاظ على خطوط الإتصال مع أولياء الله، وإن وقعوا في بعض الذنوب فلا ييأسوا، وعليهم الشروع بالعودة حيثما كانوا، والمسارعة نحو رحمة الله الواسعة.

ومن هنا، فإنّ مبدأ الشفاعة بجميع تفاصيله ونقاطه التربويّة المثيرة التي وردت في آياتٍ كثيرة من القرآن الكريم، يصبّ في هذا السياق.

مفهوم الشفاعة: لو فكّرنا في المفهوم اللّغويّ الصحيح لكلمة الشفاعة، لاستطعنا الحصول على مدلولها الإسلاميّ، لأنّها مأخوذة من المصدر «شَفْع» ويعني «ضمّ الشيء إلى مثله»، ومن هنا تتضح ضرورة

وجود نوع من التشابه بين الإثنين رغم الفروقات الموجودة بينهما.

ولهذا السبب، فالشفاعة بمفهومها القرآنيّ تعني أنّ الشخص المذنب الذي يتّصف ببعض الجوانب الإيجابية (كالإيمان أو العمل الصالح) يشبه أولياء الله، وهم بدورهم يبذلون له العون، ويسوقونه نحو جادّة الكمال، ويطلبون له المغفرة من الله تعالى.

ويمكن وصف حقيقة الشفاعة بصيغة أخرى، فهي عبارة عن وقوف كائن أقوى وأفضل إلى جانب آخر أضعف، ليعينه على طيّ مراتب الكمال.

إنّ الشفاعة للأشخاص المخطئين موجودة في المجتمعات البشريّة على مرّ العصور، وربّما كان الأشخاص المتنفّذون يشفعون للمخطئين عند أصحاب السلطة قبل نزول القرآن بآلاف السنين، إلاّ أنّ الشفاعة السائدة بين أوساط الناس تختلف

عن الشفاعة في منطق القرآن والأديان السماويّة بفارق واحد مهمّ وواضح وهو: أنّ الشفاعة في المجتمعات الإنسانيّة غالباً ما يُقصد بها قبول شخص متنفّذ للحاجة إليه في وجهٍ من الوجوه، ولذلك تُقبل شفاعته للشخص المخطئ، لكن يستفيد من الشخص في الظرف المناسب لبلوغ غاياته.

وكذلك كان الشفعاء يأخذون بعين الاعتبار علاقتهم الشخصيّة بالمشفوع له، وليس أهليّته ومدى استحقاقه لها.

ولكن، لأنّ الله غنيّ بالذات وغير محتاج على الإطلاق، فالشفاعة لديه تأخذ طابعاً آخر، وهو أنّ الشفعاء لديه ينظرون إلى المخطئين ليروا مَن منهم ينال رضا الله بسبب بعض النقاط الإيجابيّة لديه كالإيمان والعمل الصالح، فيشفعون له عند الله لأجل هذه الجوانب الإيجابيّة، وهذا هو الفارق الشاسع بين الشفاعة المتداوَلة بين الناس وشفاعة أولياء الله لديه، إذ أنّ الأولى قائمة على العلاقات، في حين أنّ الثانية قائمة على الضوابط والاستحقاقات.

ومن هذا المنطلق، يمكن الرّد على بعض المنتقدين الجَهَلة، الذين يرون الشفاعة نوعاً من الوساطة، أو أنّها بمثابة الضوء الأخضر للمذنبين، وقارنوها بشفاعة حواشي الملوك المتجبّرين. فالأُسُس التي تقوم عليها الشفاعة في مفهومها الشرعيّ تُعتَبر بنّاءة ومبنيّة على عوامل اللّياقة والاستحقاق، في حين تنبع الشفاعة المتعارَفة بين الناس في أغلب أشكالها من الحاجة المتبادلة بين الطرفين، ومن العلاقات الخاصة والشخصيّة غير المنطقيّة.

بعث الأمل ومواجهة روح اليأس: كثيراً ما يتغلّب هوى النفس على الإنسان، ويدفعه إلى ارتكاب الذنوب الكبرى، فتتغلّب من بعد ذلك روح اليأس عليه، ممّا يدفعه إلى ارتكاب المزيد منها حتّى يغدو غارقاً في الذنوب، لأنه يتصوّر أنه قد تجاوز الحدّ وغرق، فماذا يفرق إن انغمس في الماء لقامة واحدة أو لمائة قامة؟

لكنّ الاعتقاد بشفاعة الأولياء يقدّم له الأمل، فإذا وقف عند هذا الحدّ وأصلح نفسه، فقد يُعفى عمّا سلف منه وذلك عن طريق شفاعة الأبرار والصالحين، وعلى هذا، فإنّ الأمل بالشفاعة يساعد على الكفّ عن ارتكاب المزيد من الذنوب والعودة إلى الصلاح والتقوى.

إيجاد العلاقة المعنوية مع أولياء الله: إنّ الشفاعة مرهونة بوجود نوع من العلاقة بين الشفيع والمشفوع له، وهي رابطة معنويّة منبثقة من الإيمان وبعض الخصال الفاضلة وفعل الحسنات.

ومن المؤكّد أنّ مُرتجي الشفاعة يسعى دائماً لإقامة نوع من العلاقة مع الشُفَعاء وفعل ما يرضيهم، ولا ينسف جسور العودة من خلفه، ولا يفسخ عُرى

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى

الصداقة والمحبّة عن آخرها. وسيكون مجموع هذه الإجراءات عوامل مؤثّرة في تربيته، وسبب لابتعاده عن صفّ المجرمين بالتدريج، أو أن يقوم على أقل تقدير ببعض الأعمال الصالحة إلى جانب المعاصي والذنوب، لإنقاذ نفسه بالتدريج من الوقوع في حبائل الشيطان.

الاهتمام بسلسلة الشفعاء: جاء في حديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «الشفعاء خمسة: القرآن، والرّحِم، والأمانة، ونبيّكم، وأهل بيت نبيّكم».

وفي حديث آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «تعلّموا القرآن فإنّه شافع يوم القيامة».

ويُستفاد من عدّة روايات أخرى بأنّ أفضل الشفاعة التوبة، فعن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «لا شفيع أنجح من التوبة».

وصرّحت بعض الأحاديث أيضاً بشفاعة الأنبياء

والأوصياء والمؤمنين والملائكة، كالحديث المنقول عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «الشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة، وفي المؤمنين من يشفع في مثل ربيعة ومُضر، وأقلّ المؤمنين شفاعة مَن يشفع في ثلاثين إنساناً».

و في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة بعث الله العالِم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قِيل للعابد: إنطلق إلى الجنة، وقيل للعالِم: قِفْ تشفع للناس بحُسن تأديبك لهم». يظهر من هذه التعابير، وخاصة الأخير منها، أنّ الشفاعة نتاج العلاقة المعنويّة القائمة مع الصُلَحاء والمؤمنين والعلماء.

وصفوة القول التي يمكن استخلاصها من مجموع هذه الروايات وغيرها، الواردة في المصادر الإسلاميّة، أنّ الشفاعة من المسائل التربويّة المهمّة في الإسلام، والتي تعكس القِيَم الإسلاميّة السامية من خلال الاهتمام بنوع الشُفَعاء، وتحثّ المسلمين على الالتزام بهذه القِيَم والصفات التي يتمتّع بها الشُفَعاء، وتشجّع على تقوية وتوثيق العلاقات معهم، وتجلو عنها كلّ تفسيرٍ خاطئ، وتحريفٍ باطل.

متى تكون الشفاعة؟: لا شك في أنّ أحد الأوقات التي تتحقّق فيه الشفاعة هو يوم القيامة، وذلك لأنّ الكثير من آيات الشفاعة تختصّ بذلك اليوم. ولكن هل تحصل أيضاً في عالم البرزخ أو في عالم الدنيا؟ وهل هناك شفاعة في الآخرة وقبل انتهاء الحساب أم لا؟

للعلامة الطباطبائي بحث مفصّل في هذا الصدد، وفي ختامه يستنتج ما يلي:

إنّ الشفاعة تكون في آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفرة بالمنع من دخول النار، أو إخراج بعض مَن كان داخلاً فيها، باتّساع الرحمة أو ظهور الكرامة.

ويشير في بعض كلماته إلى عالَم البرزخ وما يدلّ على حضور النبيّ صلّى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام عند الموت، وعند مساءلة القبر، وإعانتهم إياه على الشدائد.

ويضيف: «فليس من الشفاعة عند الله في شيء، وإنّما هو من سبيل التصرّفات والحكومة الموهوبة لهم بإذن الله سبحانه». (تفسير الميزان).

وعلى أية حال، يُستشفّ من مجموع الآيات والروايات أنّ الشفاعة – بالمعنى الواسع للكلمة – تتحقّق في العوالم الثلاثة (الدنيا والبرزخ والآخرة)، رغم أنّ الموضع الأصل والأثر المهمّ لها هو في يوم القيامة لِغَرَض النجاة من عذاب النار.

لِمَن الشفاعة؟ قد يقول قائل: إذا كانت الشفاعة للشخص النادم على الذنب، فهو في غِنىً عنها، لأن التوبة تعني الندم وهي سبب الخلاص. وإذا وُجدت التوبة فما الحاجة للشفاعة؟ وإن كانت لِمَن هو غير نادم على الذنب، بل يقف أمامه بكل صلافة وجسارة، فمثل هذا الشخص لا يستحقّ الشفاعة، وهو ليس مصداقاً لقوله عزّ وجلّ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٨.

وللرّد على هذا الإعتراض: أوّلاً: إنّ للتوبة شروطها، وكثيراً ما يُخفق الإنسان في تحقيق كلّ تلك الشروط. فلقد نصّ القرآن الكريم على أنّ التوبة إصلاح الماضي، أي لو أنّ أحداً كان يرتكب الذنوب لسنوات متمادية، ثمّ دخل باب التوبة نادماً، لَوَجَب عليه إصلاح ما مضى، أي تأدية حقوق الله تعالى بفعل الخير، وتأدية حقوق الناس عن آخرها. وعلى هذا، فالتوبة، وخلافاً للتصوّر السائد، لا تقتصر على الندم وحده. وما أكثر الذين يفشلون في تحقيق هذا الإصلاح، فبينما هم غارقون في الندم، يسقطون في اليأس من الغفران، إن لم تشملهم الشفاعة، وإذا يئس هؤلاء، توغّلوا أكثر فأكثر في ارتكاب الذنوب.

ثانياً: قد يكون الشخص ارتكب ذنوباً كثيرة، إلا أنّ الحظّ لم يحالفه في التوبة والندم، فإنْ شعر بإمكان الأخذ بيده يوم القيامة، أو أنّ فعل الخير متاحٌ له، فهذا سيُشجّعه ـ على أقل تقدير ـ على ترك الذنوب الأخرى والتزوّد من الحسنات.

موجز في التعريف بالسور

سـورة الأعـراف

«سورة الأعراف مكيّة- إلاّ آيات قيل إنها مدنية- وهي مائتان وست آيات "..". تتضمّن طرفاً عالياً من المعارف الإلهيّة؛ منها وصفُ إبليس وقَبيلِه، ووصفُ الساعة والميزان والأعراف، وعالم الذَّرِّ والميثاق، ووصفُ الذاكرين لله، وذكرُ العرش، وذكر التجلّي، وذكر الأسماء الحسنى، وذكرُ أنّ للقرآن تأويلاً، إلى غير ذلك. وهي تشتملُ على ذكرٍ إجماليٍّ من الواجبات والمُحرّمات..».

الأعراف في الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ الأعراف:٤٤-٤٩.

فَأَذّنَ مُؤَذِّنٌ بينهما

تفسير «نور الثّقلين»:

* سُئل أبو الحسن عليه السلام عن قوله: ﴿..فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال: المؤذِّن أمير المؤمنين عليه السلام.

* ﴿..فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ..﴾ الآية، "..". عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: أنا ذلك المؤذِّن.

* خطبة لعليٍّ عليه السلام يذكر فيها نِعَمَ الله عزّ وجلّ عليه، وفيها يقول عليه السلام: ألا وإنّي مخصوصٌ في القرآن بأسماء، احذروا أن تُغلَبوا عليها فتضِلُّوا في دينكم، وأنا المُؤذِّن في الدنيا والآخرة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿..فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أنا ذلك المؤذِّن، وقال: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ..﴾ التوبة:٣، وأنا ذلك الأذان.

* في تفسير عليّ بن إبراهيم (القمّي) قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ".." عن أبي الحسن عليه السلام قال: المؤذِّن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، يُؤذِّن أذاناً يُسمع الخلائق.

وعلى الأعراف رجالٌ

تفسير «نور الثقلين»:

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأعرافُ كُثبان [تلال رمليّة] بين الجنّة والنّار، والرّجال الأئمّة صلواتُ الله عليهم، يقفون على الأَعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة، فيقول الأئمّة لشيعتهم مِن أصحاب الذنوب:

انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سبقوا إليها بلا حساب، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿..سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ ثمّ يُقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله: ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾، ثمّ يقولون لِمَن في النّار من أعدائهم:

أهؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا لا ينالهم الله برحمة؟ ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

* في «أصول الكافي»: ".." [قال الراوي]: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: الناس على ستّة أقسام، قال: قلت: تأذنُ أنْ أكتبَها؟ قال:

نعم، قلت: ما أكتب؟ ".." قال: واكتب أصحاب الأعراف، قال: قلت: وما أصحاب الأعراف؟ قال:

قومٌ استوتْ حسناتُهم وسيّئاتُهم، فإنْ أَدْخَلَهم [الله] النار فَبذنوبهم، وإنْ أَدْخَلَهم الجنّة فَبِرَحمتِه. (الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة).

* وفيه: وقال الصادق عليه السلام: كلّ أُمّة يحاسبها إمامُ زمانِها، ويعرف الأئمّة أولياءَهم وأعداءَهم بسيماهم، وهو قوله:

﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾ فيُعطوا أولياءَهم كتابهم بيَمينهم، فيمرّوا إلى الجنّة بلا حساب، ويُعطوا أعداءَهم كتابَهم بشمالهم فيمرّوا إلى النار بلا حساب.

* في كتاب «معاني الأخبار» خطبة لعليّ عليه السلام يذكر فيها نِعَمَ الله عزّ وجلّ عليه، وفيها يقول عليه السلام: ونحن أصحاب الأعراف، أنا وعمّي وأخي وابنُ عمّي، واللهِ فالقِ الحبِّ والنَّوى، لا يَلِجُ النّارَ لنا مُحِبٌّ ولا يدخلِ الجنّة لنا مُبغِض، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾.

* في «كشف المَحجّة» لابن طاوس رضي الله عنه، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل فيه: فالأوصياء قوّامٌ عليكم بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا مَن عَرَفهم وعَرَفوه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَهم وأنكروه، لأنهم عُرفاء العباد، عرّفهم الله إيّاهم عند أخذ المواثيق عليهم بالطاعة لهم، فوصفهم في كتابه فقال عزّ وجلّ ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾، وهم الشهداء على الناس، والنبيّون شهداؤهم بأَخْذِهم لهم مواثيق العباد بالطّاعة.

* في «تفسير العياشي» ".." عن علي عليه السلام قال: أنا يعسوب المؤمنين، وأنا أوّل السابقين، وخليفةُ رسول ربِّ العالمين، وأنا قسيمُ الجنّة والنار، وأنا صاحب الأعراف.

* عن سلمان [المحمدي] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام أكثر من عشرّ مرات: يا عليّ، إنك والأوصياء من بعدك أعرافٌ بين الجنة والنار، ولا يدخل الجنة إلا مَن عَرَفكم وعَرَفتموه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَكم وأنكرتُموه.

* عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام في هذه الآية: ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾، قال: يا سعد، هم آل محمد عليهم السلام، لا يدخل الجنة إلا مَن عَرَفهم وعَرَفوه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَهم وأنكروه.

* عن الثُّماليّ قال: سُئل أبو جعفر عليه السلام: ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ..﴾، فقال

أبو جعفر: نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسببِ معرفتِنا، ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا مَن عرَفنا وعرَفناه، ولا يدخل النار إلا مَن أنكرَنا وأنكرناه، وذلك بأنّ الله لو شاء أن يُعرِّفَ الناس نفسَه لَعرَّفَهُم، ولكنْ جَعَلَنا سَبَبَه وسبيلَه وبابَه الذي يُؤتى.

* «في مصباح الشريعة»: قال الصادق عليه السلام: **ولأَهْلِ التواضع سيماءٌ يعرفُه أهلُ السماء من الملائكة، وأهلُ الأرض من العارفين، قال الله تعالى: ﴿..وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ..﴾.**

«الميزان في تفسير القرآن»:

كلامٌ في معنى الأعراف في القرآن: لم يذكر الأعراف في القرآن إلا في هذه الآيات الأربع من سورة الأعراف (٤٦ – ٤٩)، وقد استُنتِج باستيفاء البحث في الآيات الشريفة، أنّه من المقامات الكريمة الانسانية التي تظهر يوم القيامة، وقد مَثَّلَه الله سبحانه بأنَ بين الدارين؛ دار الثواب ودار العقاب، حجاباً يحجز إحداهما من الأخرى - والحجاب بالطّبع خارجٌ عن حُكم طَرَفيه، في حين أنه مرتبط بهما جميعاً - وللحجاب أعرافٌ، وعلى الأعراف رجالٌ مُشرِفون على الناس، من الأوّلين والآخِرين، يشاهدون كلّ ذي نفس منهم في مقامه الخاصّ به على اختلاف مقاماتِهم ودرجاتِهم ودَرَكاتِهم؛ من أعلى عِلِّيّين إلى أَسْفَلِ سافلين، ويعرفون كُلاً منهم بما له من الحال الذي يخصّه، والعمل الذي عَمِلَه، لهم أن يُكلِّموا مَن شاؤوا منهم، ويُؤمِنوا مَن شاؤوا، ويأمروا بدخول الجنة بإذن الله.

ويُستفاد من ذلك، أنّ لهم موقفاً خارجاً من مَوقِفَي السعادة التي هي النجاة بصالح العمل، والشقاوة التي هي الهلاك بطالح العمل، ومقاماً أرفع من المقامين معاً، ولذلك كان مصدراً للحُكم والسلطة عليهما جميعاً.

ولك أن تعتبر في تَفهُّم ذلك بما تجدُه عند الملوك ومصادر الحكم، فهناك جماعةٌ مُنَعَّمون بِنِعمَتِهم، مشمولون لرحمتِهم، يستدرّون ضرعَ السعادة بما تشتهيه أنفسُهم، وآخرون محبوسون في سجونهم، مُعذَّبون بأليمِ عذابهم، قد أحاط بهم هَوان الشقاوةِ من كلّ جانب، فهذان طرَفان: طرَف السعادة وطرَف الشقاوة، والطرفان متمائزان، لا يختلطان بطرَف آخر ثالث يحكم فيهما ويُصلح شأنَ كلٍّ منهما ويُنظِّم أَمْرَه، وفي هذا الطرَف قومٌ خَدَمَةٌ يخدمون العرش بمُداخلتهم الجانبين، وإهداءِ النِعَم إلى أهل السعادة، وإيصالِ النِقَم إلى أهل الشقاوة، وهم مع ذلك من السُعداء، وقومٌ آخر وراء الخَدَمَة والعُمّال، هم المُدبِّرون لأمرِ الجميع، وهم أقربُ الوسائط من العرش، وهم أيضاً من السُعداء، فللسعادة مراتبُ من حيث الإطلاق والتقييد. وليس من المُمتنع على مَلك يوم الدين أن يخصّ قوماً برحمته، فيُدخِلهم بحسناتِهم الجنّة، ويبسط عليهم بركاتِه بما أنه الغفور ذو الفضل العظيم، ويُدخل آخرين في ناره ودارِ هوانه بما عَمِلوه من سيّئاتهم، وهو عزيزٌ ذو انتقام، شديدُ العقاب ذو البطش، ويأذنَ لطائفة ثالثة أن يتوسّطوا بينه وبين الفريقين؛ بإجراء أوامره وأحكامه فيهم، أو إصدارها عليهم بإسعاد من سَعِدَ منهم وإشقاءِ من شَقِي، فإنه الواحد القهّار الذي يَقهر بوحدته كلّ شيء كما شاء؛ بتوسيطٍ أو إسعادٍ أو إشقاء، وقد قال تعالى: ﴿..لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ غافر:١٦، فَافْهَم!